د. عبد الرحمن بن صالح العشماوي

مأساة التاريخ

شعر

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العشماوي، عبدالرحمن

مأساة التاريخ ـ ط٢ ـ الرياض

٨٢ص؛ ١٤×٢١ سم

ردمك: ٨ـ ١٦١ ـ ٤٠ ـ ٩٩٦٠

١ـ الشعر الحر ٢ـ الشعر العربي ـ السعودية أ ـ العنوان

ديوي ٨١١,٩٥٣١٠٩٤ ٢٣ / ٠٢٣٧

ردمك: ٨ـ ١٦١ ـ ٤٠ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٠٢٣٧ / ٢٣

الطبعة الثانية

١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

ڑ نا ر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

صفحة بيضاء ٤

الإهداء

إلـــــــــــى . .

الذين يعشقون

تأريخهم

بعيداً

عن الدسائس

والأكاذيب

إضاءة ...

أسماء بعض الكتب للرجوع إليها:

١ ـ الكامل، لابن الأثير.

٢ ـ البداية والنهاية، لابن كثير.

٣ ـ العواصم من القواصم، لابن العربي.

٤ ـ الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر.

٥ ـ مروج الذهب، للمسعودي.

٦ ـ أسد الغابة، لابن الأثير.

٧ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر.

٨ ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي.

٩ ـ النجوم الزاهرة، لأبي المحاسن.

١٠ ـ وفيات الأعيان، لابن خلّكان.

١١ ـ بدائع السلك، لابن الأزرق.

١٢ ـ الأخبار الطوال، للدينوري.

١٣ ـ سير أعلام النبلاء، للذهبي.

١٤ ـ الأحكام السلطانية، للماوردي.

١٥ ـ كتاب المغازي، للواقدي.

١٦ ـ فجر الإسلام وضحاه، لأحمد أمين.

١٧ ـ أغاليط المؤرخين، لمحمد أبي اليسر عابدين.

١٨ ـ أباطيل يجب أن تُمحى من التاريخ، للدكتور إبراهيم شعوط.

١٩ ـ تاريخ الأمم الإسلامية، محمد الخضري.

٢٠ ـ حياة محمد، لمحمد حسين هيكل.

مدخل:

ذاتَ يومٍ
وشتاءٌ قارسٌ
ينشر في الجوِّ غيومَه
وهواءٌ باردٌ
يلسع وجه الشمس
والسُّحُبُ عقيمةٌ
وجبين الفجر
مسجونٌ وراءَ الغيمِ
يجترُّ همومَهْ
كنت استمطر آمالي
وأستقبل فجري
بسؤالٍ وسؤالْ:
أيُّها الفجرُ
لماذا تتوارى؟
ولماذا تطرد اللَّيلَ
وترتدُّ وراءَ الغيمِ

مهزومًا
كسيراً؟
وتمطَّى الفجرُ
من خلف الغيومِ
وبدا نصفُ جبين الشمس
ياروعتهُ
مثلما..
يَفْترُّ ثغرُ الغادةِ الحسناءِ
عن نصف ابتسامَهْ
وغناءُ البلبلِ الصدَّاحِ
ينساب إلى
أعماقنا
مثلما
ينسابُ صوتٌ ناعمٌ
في هَدْأَةِ اللَّيْلِ
إلى سمع محبٍّ
ونداءٌ غارقٌ

في الأُفُقِ
سكبتْه الريح في
أسماعنا
مثلما..
تسكب صوتاً لشريدٍ
تاه في
وَسْط مغارَهْ
أوْ..
كما تسكب صوتاً لغريقٍ
شَهِدَ الموجُ احتضارَهْ
وسجنّا الأُفْقَ
في أعيُنِنَا
علَّنا نلمح في صفحتِه
صورةً تُنْبِئُنا
عن ذلك الصوتِ العميقِ
واحتبَتْ لحظتُنا بالصَّمْتِ
لم تنطقْ شَفَهْ

وصياح الريحِ
يُفضي
بخفايا ذلك اليومِ
الشتائيِّ
ويحكي صلَفَهْ
أين ذاك الصوتُ؟
هل أرهبَهُ
منظرُ الشمسِ
بدتْ ملتحفَهْ؟
أم تراهُ..
تاه عن آذاننا
بين أكوامِ السَّحابِ؟
لحظةٌ مرَّتْ
وعاد الصوتُ أقوى
وأشدَّا
ظلَّ يدعونا إلى أُفقٍ بعيدٍ
فمضينا

وسمعنا

ووعينا

الصوت:

أيُّها اللاَّهونَ..

والأيَّام جدُّ

إنْ يكن في الروضِ

عصفورٌ شدا

وزهورٌ ضحكتْ

ونسيمٌ..

يبعث النَّشوةَ في أنفسكم.

فاعلموا

أنَّ الربيع الطَّلْقَ

يأتي بالخريفِ

ورياح الصيفِ

تأتي بالشتاء

أصوات:

أيُّها الصوتُ

تمهَّلْ

نحن من قومٍ

لهم في كلِّ ميدان بطولَهْ

لا تتلْ منّا

فإنا

أهل عزمٍ ورجولَهْ

سلْ بنا

تاريخنا الحرَّ المجيدا

فلنا في كلِّ شبرٍ

من أراضينا

حكايَهْ

الصوت : «ساخراً»

أيَّ عزمٍ تقصدون؟

ما أرى..

إلا بطوناً شبعتْ

ونفوساً خضعتْ

ما أرى..

إلاّ عقولاً

شغلتْها لذَّةُ الأحلامِ

عن تفكيرها

أنا لا أسأل

عن تاريخكم

إنما أسألُ

عن أعمالكم

«صمت»

الصوت :

لِمَ هذا الصمتُ

يلتفُّ على أفواهكم؟

الأصوات : «في هدوءٍ له معنى»

لِم لا تسألُ عن تاريخنا؟

أترانا..

قد نبتنا فوق وجه الأرضِ

من غير جذور؟

الصوت: « بلهجةٍ جادة»

إنّ للتاريخِ ياقومُ

حكايا

لم أزلْ أحملها

في جعبة الشك وأمضي

الأصوات:

أيُّها الصوتُ

تدبَّرْ ما تقولُ

إنّ للتاريخ في أنفسنا

منزلاً ما أعظمَهْ

هل ينال العزَّ قومٌ

جهلوا تاريخهم؟؟

الصوت:

أيُّها القومُ رويداً

لا تلوموني

فقد..

جاوز التاريخ حدَّهْ

حينما..
أَذْعنَ للطغيانِ
يُملي
ويَدُ التاريخِ
- ياويلَ يدِ التاريخ -
تكتبْ
تجعل الخائنَ شَهْما
تُلبِسُ الباطلَ حقا
جاوز التاريخ حدَّهْ
جعل الذلَّة عزًّا
ودماءَ الناسِ
للطاغين خمرا
أين يغدو ذلك التاريخُ
عنّا؟
قد كشفنا كلَّ زَيْفِهْ
كلُّ سطرٍ فيه
يُخفي ألفَ سطرٍ

ووراءَ الحرفِ
أشتاتُ حروفٍ
علَّمتنا..
أنَّ ما يُخفيه أعظمْ
فلماذا
أُذُنُ التاريخ
تصغي لنداء الظالمين؟
ولماذا
يستجيبُ؟

«تتجه الأنظار إلى الأفق حيثُ ترى شبحاً قادماً يظل يقترب حتى يصل»

الشَّبح: «للصوت»

أيُّها اللائم مهلاً
طاش ـ يا مسكين ـ سهمُكْ
وتثنَّى
قبل أنْ يغرسَ جَذْرَ الموتِ
في صدري الرَّحيبِ

أتراني ـ مثلما قلتَ ـ
أخونُ؟
أترى..
جاوزتُ حدي؟
أم ترى
جاوزتَ حدَّكْ؟

الصوت: «يتظاهر بعدم المبالاة»

أنتَ ـ يا تاريخ ـ
قد جاوزتَ حدَّكْ
هذه الأحداثُ
تُدلي بالشهادة
فبماذا ستجيب؟

« يتراجع القوم قليلاً ويبقى التاريخ في مواجهة الصوت»

التاريخ :

أيُّها اللائمُ
لا تُطلقْ لسانَكْ

أنت لا تبصرُ يا مسكينُ
إلاّ ما أمامكْ
أنت لا تنظر خلفكْ
أنت لا تعرفُ ما يجري
يميناً وشمالا
آهِ منكم أيُّها الناسُ
بما لا تعلمونَ
تحكمونْ
آهِ منكم
ياضحايا الكلماتِ
تعشقون الشائعاتِ
أنتَ..
ترميني بما تلمحهُ
وأنا..
ألمح ما تلمحهُ
الخياناتُ كثيرهْ
وعيون الناسِ ـ ياصاحِ ـ

بصيرَهْ

وأياديهم قصيرهْ

أنت تحيا في زمانٍ

ما رأتْ عينايَ

مِثْلَهْ

آهِ .. لو تفهم ما أعني

وتصغي

الصوت:

أيُّها التاريخ

ماذا تقصدُ؟

التاريخ : «يبدو عليه التأثُّر»

كم قتيلٍ

شاهدَتْ عينايَ

مَنْ جَنْدَلَهُ

وهو يستنكر قتلَهْ

يسكبُ الدمعَ

من الحزنِ عليهِ

وبقايا الدَّمِ لا زالتْ
خضاباً في يَدَيه
وبكى الناسُ القتيلا
وغدوا يدعون للقاتلِ
ـ ما يدرون ـ
بالنصرِ المبينِ
آهِ.. لو تفهم ما أعني
وتصغي
ذلك القاتلُ أضحى بَطَلا
وغدا للعدلِ في الناسِ
مثالا
تنضح الرحمةُ من عينيهِ
نَضْحَا
ويرى الناظرُ
نوراً في جبينهْ
وعطاءً في يمينهْ
وكفى

لستُ أنسى
ذلك اليوم العصيبا
حين شاهدتُ وجوهاً
جمَدَ الموتُ عليها
ودماءً
شربتْها الأرضُ حتى
ظمئَتْ
وتمنَّتْ أنها
ما شربتْ
حين شاهدتُ رؤوساً
خُفِضتْ
ورؤوساً
رُفِعَتْ
حينما شاهدتُ أجساداً
يواريها الثرى
ونفوساً تتلوَّى
تحتَ..

وقع الفاجعَهْ
وقلوباً مزَّقتْها الحسراتُ
لستُ أنسى..
ذلك اليوم العصيبا
وأنا..
أسمع نصرا
وأرى المأساةَ
تذكيها الهزيمَهْ
وأنا أسمع مجدا
وأرى الذلَّةَ في الحيِّ
مقيمَهْ
البطولاتُ تناغي
مسمعيْ
ورُؤَى المأساةِ
تُؤْذي ناظريْ
آه.. لو تفهم ما أعني
وتصغي

«يبــدو شيءٌ من الإعـجــاب الممـزوج بالدهشــة على الوجوه بينما يتحدث الصوت»

الصوت:

أيُّها التاريخ
أصغيتُ كثيراً
وفهمتُ
كلّ ما قلتَ دليلٌ
أيُّها التاريخ ضدّكْ
كدتَ تخفي الحقَّ
لكنْ
أنطق اللّه لسانَكْ

التاريخ :

يالها من حسرةٍ
تَنْحت قلبي
أنتَ أصغيتَ
ولكنْ
لم تزلْ تجهل قصدي

أنتَ
تشكو واقعاً
ما زال حيًّا
وأنا أرصدُهُ
وغداً..
أحمله دونَ عناءِ
بعد أنْ أنفضَ
زَيْفَهْ
سترى الأجيالُ من بعدكَ
ما أحملُهُ
سترى..
مَنْ صَلَبَ الحقَّ
على مشنقتهْ
سترى..
مَنْ وَأَدَ الإنصاف
في مقبرتِهْ
سترى..

مَنْ زَرَعَ الذاتَ
على أرض العشيَرهْ
وسقاها
بدماءِ الأبرياءِ
سترى..
من شيّد الآفاقَ لَهْ
وبناها
بأيادي التعساءِ
سترى الأجيالُ من بعدكَ
ما لم تَرَهُ
آهِ .. لو تفهم ما أعني
وتصغي

الصوت : « تلين لهجته»

أيها التَّاريخ
مهلاً
إنَّ في قولكَ ما يُغري
فزدْني

فعسى..
أنْ تُطفئَ النارَ التي
تحرقني
وعسى..
أنْ تنعش الآمالَ
في قلبي الجريحْ
وعساني أستريحْ

التاريخ : «في نشوة»
الرُّؤَى كانت
تلوحُ
وبقايا المسك
ما زالتْ تفوحُ
وعيونُ الناسِ كالطَّوْقِ
على..
بابِ الخليفهْ[1]
وفؤادٌ نابضٌ في

---

(١) عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ .

صدرهِ
ولسانٌ
يسكب التسبيحَ في
آذانِ قومٍ واجمينْ
وشفاهٌ تمتمتْ
تسأل الله شفاءً
للخليفَهْ
وتصبُّ اللَّعنَ صبًّا
لأبي لؤلؤةٍ (١) في قبرهِ
أتُرى الناس دَرَوا
- في حينها -
مَنْ أبو لؤلؤةٍ
ذاكَ اللعينُ؟
أتراهم علموا
أنَّ «كسرى»
جدُّه من أمه؟

(١) أبو الؤلؤة المجوسي قاتل عمر بن الخطاب.

أتراهم علموا
أنَّه جاء سفاحاً
نطفة طائشةٌ
من «رستمٍ»
نبتَتْ
في بطن «بورانَ»
جنيناً
ثم صارتْ ـ بعد دهرٍ ـ
ساعداً
حمل الخنجر مسموماً
إلى صدر الخليفَهْ؟
أَتُراهم علموا
عن لقاءاتِ
أبي لؤلؤةٍ بالهرمزانِ
عن نوايا الغدر
في صدريهما[1] ؟

(١) يروى: أنَّ أبا لؤلؤة المجوسي هو ابن بوران بنت كسرى جاءتْ به سفاحاً من القائد رستم، ثم أُرسل إلى المدينة لاغتيال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وظلَّ بها يتحيّن الفرص حتى تمَّ له ذلك بعد مجيء الهرمزان إلى المدينة.

ربَّما لم يعلموا

وإذا كانَ

فهل كنتَ ستعلمُ؟

لا وربِّ العرشِ

لولايَ أنا

فأجبني

أترى جاوزتُ حدِّي؟

الصوت : « في دهشة»

لا وربِّي

بل تفضلت علينا

بالكثيرِ

التاريخ: «في حماسة»

وستحظى بالكثير:

يالها من غادةٍ

كالقمرِ

يتراءَى فوقَ عينيها

الحياءُ

وعلى أهدابها

من «سحر بابِلَ»

ما كوى قلبَ المعنَّى[1]

يحسب الدنيا استقامتْ

في يديهِ

عندما تنطق باسمهْ

بعد أنْ تكسوه

من لَكْنَةِ فارسْ

إنها شيرينُ[2]

ما أروعَها

يسكن الإغراءُ

في مَبْسِمها

(١) المعنَّى بن حارثة الشيباني أخو المثنَّى.

(٢) أميرة فارسية أسلمت وتزوجها المعنَّى بن حارثة.

وهيامٌ بالمعنَّى
قد جرى
في دمها
أسلمتْ شيرينُ
ما أعظمها
عندما صلَّتْ مع القومِ
وصامت
أسلمت شيرينُ
ما أجملها
عندما تنطق باسم اللّهِ
خوفاً
ورجاءً
وتناديهِ
صباحاً
ومساءً
أسلمتْ شيرينُ

ما أروعها
زادها الإيمانُ باللّهِ
جلالاً وبهاءً
وتفانتْ في هوى الزوجِ
الحبيبِ
وتفانى زوجها
عندما يرجع من غاراتهِ
ينزوي في ظلِّها
يرتمي في حضنها
كرضيع
يرتمي في حضن أمِّهْ
تَغسِل البسمةُ منها
كُلَّ هَمِّهْ
ومضت أيامُهُ
تزداد إشراقاً
بشيرينَ الحبيبهْ
وأتى ـ يوماً ـ
وفي الدار نحيبُ

ما دهى شيرينَ؟
صاحْ
ثم أغضى طرفَهُ
وانثنى يغرس
طرفاً ذاهلاً
في فم يذكر ربَّهْ
ورأى جسماً
يدِبُّ الموتُ فيهِ
إنّه..
جسم « المثنَّى»
يامثنَّى
لا تدعّنا أنتَ منّا
في السنامِ
غير أنَّ الموتَ أمضى
ودواء الموتِ في الجرحِ
سرى
دسَّه فيه الطبيبُ
الفارسيُّ

مَن دعا ذاكَ الطبيبا
مَن أباح الجسد العملاقَ
لَهْ
خلف أستار الثقهْ؟
إنها شيرينُ
لو يدري المعنَّى
يالها من كيَّةٍ
في قلب عاشقْ
أيُّ جرحٍ عاثَ في وجدانهِ
أيُّ مأساة
ثَوَتْ في عُمقهِ؟
مات أغلى الناسِ
عندهْ
عَبَر الموتُ إليهِ
من يدَيْ
ذاكَ الطبيبِ الفارسيِّ
دَبَّرَتْ شيرينُ

قَتْلَهْ

يا لهول الكارثهْ

الصوت: « في دهشةٍ كبيرة»

أيها التاريخُ

عفواً

خطئي كانَ كبيراً

ولساني ـ وَيْلَهُ ـ

كاد أنْ يفتك بي

آهِ

من ظلم اللسانِ

فاعفُ عني

التاريخ: « مبتسماً»

إن صدري أيُّها اللائمُ

رَحْبُ

أتراني كنتُ أحيا

بفؤادٍ ضيِّقِ

وأنا أحملُ

في جنبيَّ
آلاف المآسي؟

الصوت : «بنبرة اطمئنان»

أنت راضٍ
أيُّها التاريخُ
عني؟
إنْ تكنْ ـ حقاً ـ
رضيتْ
فابغني ما أشتهي
من جِرَابكْ

التاريخ : «بنبرة حزن»

كان شيخاً[1]
ذا وقارٍ ومهابَهْ
كان من خيرِ
الصحابَهْ
وقضى في الدارِ
نَحْبَهْ

---

(١) عثمان بن عفَّان ـ رضي الله عنه ـ.

بأيادٍ
حكم اللّه عليها بالشقاءِ
إنَّها الفتنةُ ـ ياصاحِ ـ
بدتْ
شمَّرتْ عن ساعديها
حيَّرتْ
كلَّ لبيبٍ عاقِلِ
شوَّهتْ
وجه إخاءِ المسلمينْ
أترى..
تعرف مَنْ أشعلها؟
زمرةٌ
فرَّخ في أنفسها
الحقد الدفينُ
لو رأيتَ
«ابنَ سبأْ»[1]

(١) هو عبداللّه بن سبأ « ابن السوداء» اليهودي الذي كان سبباً في كثيرٍ من الأحداث آنذاك.

يرتدي الغدرَ
مساءً
وصباحاً يأخذ التقوى
رداءً
يُظْهِرُ الإسلامَ
لكنْ
بينَ جنبيهِ
يهوديٌّ حقودٌ
يمتطي
صهوةَ شيطانٍ مريدٌ
لو سمعتَ «ابنَ سبأٍ»
وهو يدعو برجوع المصطفى
بعد أنْ
جاور ربَّهْ
وهو يدعو:
أنَّ صوت الرعد من صوتِ «عليٍّ»
حين يغضبْ

يالها من فتنةٍ
أشعلها
سار فيها « الزَّحْزحَهْ»
والْتقى
«خُضْرِيَّةَ» الشام[1]
بصفِّينَ الحزينَهْ
إخوة يقتتلونْ
والمآسي «رَمَدٌ»
أطفأ في أعينهم
نور الحقيقَهْ
وامتطى كلٌّ طريقَهْ
وقُصارى القولِ:
أنَّ القومَ كانوا
من خيارٍ في خيارْ
غير أنَّ الخَطْبَ أعمى
وفؤادُ الحربِ

(١) الزحزحة جيش علي بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ ، وخضرية الشام جيش معاوية ـ رضي اللّه عنه ـ.

لا يسعدُهُ إلاَّ الدَّمارْ

إنَّه الشيطانُ

ما أَلْعَنَهُ

يزرع المأساةَ في كلِّ مكانٍ

ثم يمضي.

الصوت :

أيها التاريخُ

زِدْني

صرتَ في عينيَّ

نوراً

بعد أنْ كنتُ

أرى فيك الظلاما

التاريخ:

كانَ

من خيرةِ فتيانِ قريشْ

زاده اللّهُ

جمالاً وجلالاً

طيبُهُ
يسلب لبَّ الغانياتِ
وله مالٌ وفيرُ
والفتى يُكرِم نفسَهْ
جاءَه ـ يوماً ـ
«رياح بنُ عبيدهْ»
برداءٍ ناعم
غالي الثمنْ
قال:
ما هذا الذي جئْتَ بهِ؟!
خَشِنٌ هذا
وذو سعرٍ زهيدِ
ومضتْ مركبةُ الأيَّامِ
في رحلتها
وأراد الله أنْ يحملَ
عبْءَ المسلمينْ
فأتى ـ يوماً ـ

«رياح بنُ عبيده»
برداءِ خَشِنٍ
بَخْسِ الثمنْ
قال:
ما هذا الذي جئت بهِ؟!
ناعمٌ هذا
وذو سعرٍ كبيرِ
يالها..
من نَقْلةٍ رائعةٍ
لم أزَلْ أذكرُ فيها
« عُمرَا»
ولداً يُرضي «أباهُ»
وأرى عبدالعزيزِ
والداً يهتمُّ بابنهْ
ومضتْ مركبةُ الأيَّامِ
في رحلتها
وشفاه الناسِ

في كلِّ مكانٍ
تتغنَّى بالأشجِّ [1]
وأتى يومٌ عصيبُ
«دَيْرُ سَمْعَانٍ»[2] بهِ
أشقى مكانِ
ماتَ فيه العادلُ الشَّهْمُ
عمرُ
ويرى الناسُ ـ على عادتهم ـ
أنَّ سُمّاً قاتلاً
عانق قلبَهْ
فمضى عن هذه الدارِ
«شهيداً»
مثلما يمضي
مئاتُ الصالحينْ

الصوت:

ياترى..

---

(١) لقب عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه اللّه ـ
(٢) مكان وفاة عمر بن عبدالعزيز .

هل قتل السمُّ عمر ؟

أم ترى الناس

بما لا يعلمونَ

يحكمونْ؟

التاريخ : «يُبدي عدم ارتياحٍ للسؤال»

قَدَرُ اللّهِ

مضى

وسواءٌ..

صدقوا أم كذبوا

فسيأتي يومُهمّ

يومَ لا ينفع مالٌ وبنونْ

وسيبدو كلّ مكتومٍ

ويظهرْ

فإلهُ العرشِ

أخبَرْ

الصوت : «يلمح تذمُّر التاريخ من سؤاله»

أيُّها التاريخ

لا تغضبْ عليَّا

لا تكنْ..

مثلَ الطغاةِ الجائرينْ

يحتسون الدمَ

«خمرا»

ويثورونَ إذا ما سُئلوا

التاريخ:

لا تخَفْ

أنا أشكو من مآسي

الجائرينْ

أتراني

أرتضي ما يرتضون؟

الصوت:

دعْكَ من هذا

وزدني

اسقني من نبْعِ أحداثكَ

حتى أرتوي

التاريخ : «في تأثُّرٍ واضح»

آهِ..

لو تعلم ما عانيتُ

في دربي الطويلِ

فَنِيَتْ في الدربِ

أجيالٌ

وما زلتُ أعيشُ

في سجلاَّتي

حكاياتُ سرورٍ

وحكاياتُ شقاءْ

وعرفتُ السعداءَ

وعرفتُ التعساءْ

يالَها..

من رحلةٍ جدّ طويلهْ

أكتم الحسرةَ في قلبي

وأمضي

وعلى ثغري ابتسامَهْ

وأرى الباغينَ
يجتاحونَ عرضي
بحكايا..
نسجوها من خيالٍ
دَنِس
بعضهم حاول أنْ يجعلَ
مني..
سبئياً فأَبيْتُ
خارجياً فأَبَيْتُ
مزدكياً فأبيْتُ
قرمطياً فأَبَيْتُ
ويهودياً خؤوناً
فأبَيْتُ
والطغاةُ الجائرونْ
رغَّبوني فأَبَيْتُ
أرهبوني فأبيْتُ
فأشاحوا..

بوجوهٍ مكفهرَّهْ
وعيونٍ خائنهْ
ومضتْ أذيالهم
تملؤني..
بأكاذيبَ كثيرهْ
ودعاوى فاجرهْ
شوَّهوا - يا ويلَهم -
وجه الحقيقهْ
غير أنَّ الجوهرَ الكامنَ
في أعماقيَهْ
لم يزل أصفى
من القلبِ التقيْ
آهِ
لو تعلم ما عانيتُ
في دربي الطويلِ

الصوت:

موقفٌ منكَ

عظيمُ
عجزتْ عنه
«طواويس البشرْ»
فرأيناها
تدوس الضعفَاءَ
المتعبينْ
وتغضُّ الطرفَ
عن «ساداتها»

التاريخ : «ماضياً في حديثه»

ذاتَ يومٍ
وأنا ألمح في الجوِّ
اختناقَا
سحباً سوداءَ
تحتلُّ السماءَ
ورياحاً عاتيَهْ
تكنس الأرضَ
وترمي السفيَ

في أعيننا
وكأنَّ الريحَ في ثورتها
تُعلن الرَّفْضَ
لظُلْمِ الظالمينْ
أو لعَلَّ الريحَ
في ثورتها
حجبتْ عن أعيُنِ الناسِ
فصول الكارثَهْ
يا لهم..
من فتيةٍ قد أقبلوا
يمَّموا الركبَ
إلى دار الخليفَهْ
كلُّهمْ يطلب قربَهْ
«وأبو العبَّاسِ» (١)
يُدني «الغَمْرَ» (٢)
من مجلسهِ

(١) أبو العبَّاس السفَّاح أول الخلفاء العبَّاسيين.
(٢) الغمر بن يزيد الأموي.

وثمانونَ من القومِ
ـ جلوساً ـ ينظرون
مزج الموقفُ
لَوْنَ الرُّعبِ فيهم
بالرجاءِ
ووفودٌ أقبلتْ
و«ابنُ ميمونٍ سديفٌ» (١)
ينشد الشعرَ
على أسماعهم :
«لا يغـرَّنْكَ مـا ترى من رجـالٍ
إنَّ تحـتَ الـضـلـوع داءً دويَّـا
فضع السيف وارفع السوط حتَّى
لا ترى فـوق ظهـرها أمـويَّا»
ساعةٌ مرَّتْ
كعامٍ في حساب الجالسينْ

(١) سديف بن ميمون أحد شعراء العباسيين.

ووجومٌ
كان يُوحي
بوقوع الكارثَهْ
فإذا بالقوم صرْعَى
وأبو العبَّاس يغلي ـ غضباً ـ
وينادي :
افرشوا هذا البساط
فوقَ هذي الجُثَثِ
يالها من ساعةٍ
قد حبلتْ
بدموع حائرهْ
تتوارى..
خلف أجفانٍ كسيرَهْ
وقلوب
تتلوَّى ألَما
وأنينٍ
يبعث المأْساةَ

من تحتِ البساطِ
وعلاماتِ استياءٍ
في وجوه الحاضرين
وابتساماتِ نفاقٍ
تَعِبَتْ منها الشِّفاهْ

الصوت : «محتجّاً»

أيُّها التاريخ... هل هذا جرى؟
إنَّ شكّاً ـ أيُّها التاريخ ـ
قد ساورني
فأبوالعبَّاسِ لا يفعل هذا
أوَما للمرءِ قلبٌ
أوَمَا للمرءِ دينُ؟

التاريخ :

أيُّها الصوتُ.. تمهَّلْ
إنَّه السَّفَّاح.. لو تعرفهُ
حَسِبَ الحقَّ معَهْ
سَكِرَ المسكينُ بالملكِ فلم

يَرْعَ للقومِ
ذماما
أنتَ لا تعلمُ
عن سُكْرِ المناصبْ
أنت لا تعلمُ
عن خمر الرِّئاسهْ
تصغر الخمرةُ
في ميزانها
فتأمَّلْ

الصوت:

كلّما حاولتُ
أنْ أُقنعَ قلبي
زاد شكّي
ليت شعري..
ما مكانُ الصدْقِ
فيما أسمعُ؟
أيُّها التاريخُ

عفواً
ثقتي فيكَ كبيرهْ
غير أنَّ الشكَّ في قلبي
كبيرُ
فتأمَّلْ - أيُّها التاريخ -
حالي
بينَ شكٍ وثقهْ
بين تصديقٍ
وتكذيبٍ معاً
بين يأسٍ ورجاء؟!

التاريخ:

يالها من حيرةٍ قاتلةٍ
أنتَ فيها..
كشريدٍ تاهَ عن غايتِهِ
فلماذا يأكل الشكُّ
يقينَكْ؟
ولماذا

يهزم اليأسُ الرجاءَ؟!

الصوت : «في اهتمام»

أأبو العباسِ باع القومَ

للموتِ الزؤامِ

ومحاهم من قواميسِ الحياةِ

أم رمى القومَ سواهُ؟!

التاريخ : «يبدو عليه الاضطراب»

بعضهم يذكر عمَّهْ

وأنا..

ما بينَ تصديقٍ وتكذيبٍ

أعيشُ

ذلك الخَطْبُ جرى

لستُ أنساهُ

ولا أُنكرهُ

غيرَ أني لستُ أدري

كفُّ عبدالله[1]

(١) عمُّ أبي العبَّاس السفَّاح، وبعض مصادر التاريخ تنسب إليه قصة قتل بقايا الأمويّين.

أم كفُّ أبي العبَّاسِ
جارتْ
أثقلتْ ذاكرتي الأيَّامُ
تترى. واللَّيالي
إنَّها مرحلةٌ
كانتْ وَلُوداً
تُنْجِبُ الأحداثَ
أجناساً كثيرهْ
فاعفُ عنّي

الصوت: «فى زهو»

أيُّها التاريخ
لا تغضبْ
فإني قد عفوتُ
واحترسْ من عَبَثِ النسيانِ
في ذاكرتكْ

التاريخ :

آهِ..

ما أجملَ عفو المرءِ
عند المقدرهْ
أيُّها الصوتُ
أصِخْ سمعاً إليَّا
ذات يومٍ..
وضياءُ الفجر خَيْطٌ
وشعاع الشمسِ ما زالتْ
تواريه التِّلالُ
والنَّدى
أَوْسِمَةٌ فضِّيةٌ
قلَّدها الليلُ الزهورا
كلُّ ما حولك
يُغري
يجعل الفرحة في قلبكَ
تَسري
لا ترى إلاّ شفاهاً
تتبسَّمْ

وعيوناً تتكلَّمْ
وإذا أصغيتَ
شاقتْك أهازيجُ الرُّعاهْ
وثغاءُ الشَّاءِ يسري
في الشعابِ
يالَها من ساعةٍ
ذقتُ بها طعم السعادهْ
ثمَّ يمَّمْتُ المدينَةْ [1]
وإذا رأسٌ..
على جذعٍ كبيرٍ
علَّقوهُ
رأْسُ مَنْ .. هذا؟؟
وصاح القومُ حولي:
أوَما تعرفهُ؟
إنَّهُ « الحلاَّجُ» [2]

(١) بغداد.

(٢) الحسين بن منصور .. أجمع العلماء على تكفيره، وكانت آراؤه في كتابه «طاسين الأزل» وغيره واضحة الدلالة على زندقته.. ومع ذلك فإن بعض الأدباء يصرُّ على جعل قضيته قضيةً سياسية مكذباً الحقائق التاريخية.

شيخٌ ذو طريقَهْ
إنَّه الصوفيُّ
ما أزهدَهُ
بل.. هو الزنديقُ
يدعو بالحلولِ
وأحاط الناس بهْ
بعضهم..
يلعنه.. يلعن فعلهْ
بعضهم ..
يحمده.. يحمد عقلَهْ

الصوت : «ممتعضاً»

أيُّها التاريخ
قد حيَّرتني
ياتُرى..
ما مذهبُ الشيخِ الشقيِّ

التاريخ:

أيّها الصوتُ

تمهَّلْ
فلقد حيَّرني ما صنع القومُ
بهِ
وتساءَلْتُ..
وفي قلبي من الحيرةِ نارُ:
ياتُرَى..
ما مذهبُ الشيخِ الشقيِّ؟
ودنا مني عجوزٌ
ثم قال :
أيُّها السائلُ سجِّلْ..
كان هذا الشيخُ
زنديقاً وصوفياً معاً
كان شيعياً
إذا جاء إلى دارِ الخليفهْ
وحلولياً
إذا ألقى دروسَهْ
آهِ..

لو تقرأ «طاسينَ الأزلْ»
و«اليقينْ»
و«الحياةَ الباقيهْ»
و«القيامهْ والقيامات»[1]
وبعضَ الكتبِ
أيُّها السائلُ
إنَّ الشيخ قد ضلَّ
وقد نال جزاءَهْ
وقُصارى القول:
إنَّ الشيخَ..
لو لم يتزندقْ
ما تحرَّقْ
وسَراةُ القومِ
لو لم يتمادَوا في الهوى
لم يروا في الناس
مَن يمقتهم

(١) أسماء كتب ألَّفها الحلاَّج.

بعضهم يضربه اللّه ببعضٍ

أيّها السائل

فاعْلَمْ

الصوت :

أصحيحٌ ما تقولُ؟!

فلماذا ..

بعضهم يرفع قَدْرَهْ؟

لعنوا من أجلهِ

« المقتدرا »[1]

ورأوا أنَّ يدَ الظلمِ

قد امتدَّتْ إليهِ

فمضوا يبكونَهُ

ويُذيبون على مأساتهِ

أكبادَهم؟؟

التاريخ:

دعْكَ منهم ..

---

(١) الخليفة العباسي الذي أمر بقتل الحلاَّج.

فأنا أعرفهُ
أنا لا أنكر أنَّ القومَ
قد جاروا عليهِ
قَطَعوا أطرافَه
نثروا منه رماداً
فوقَ «دجلَهْ»
وعلى جسرٍ رأتْ بغدادُ
رأسَهْ
إنما أنكر أنْ نُلبسَه ثوبَ الصلاحِ
وهو اللاَّبسُ غيرَهْ
أنطيع العاطفَهْ
إنما يُفْسد أمر النَّاسِ
تحكيمُ الهوى
واتِّباعُ النفسِ فيما تشتهي
كيف ـ ياصاح ـ
يُصيبُ الحقَّ
مَنْ طاع هواهُ؟!

الصوت : « في ارتياح»

يارعاكَ اللّهُ

قد أثْلَجْتَ صدري

فامضِ بي حيث تشاءُ

لم أزلْ ألمح في عينيكَ

أسراراً كثيرهْ

التاريخ : « في حماسةٍ واضحةٍ»

ذات ليلٍ

وضياءُ البدرِ ينسابُ

على خدِّ السماءِ

ونجومُ اللَّيلِ تزهو

وخباءُ الصَّمتِ

مضروبٌ على تلك التلالِ

وشعاعٌ ثاقبٌ

يَبْهرني

مثل سهمٍ نافذٍ

يطعن اللَّيلَ على خاصرتهْ

فتحسَّسْتُ طريقي
كنتُ أخشى
من وشايات الحصى
ودنا خَطْوي
من الدار البعيدهْ
وعلى الوادي
مهابَهْ
ورُؤىً..
تُوْقِظ في قلبي
ارتيابَهْ
ياتُرى.. مَنْ صاحبُ الدارِ
وما غايتُهُ؟
وغزا سمعيْ
صياح
شقَّ من حَوْليْ
خباءَ الصمتِ
وانسابَ إلى الوادي

صداهُ
ثم رانَ الصمتُ
ساعةْ
كانت الأوهامُ ـ في طيَّاتها ـ
تنهش فكري
وأنينٌ قاتلٌ
يحفر صدري
وسؤالٌ حائرٌ
يصفعني:
كيف أسلمْتُ إلى الموتِ
زمامي؟؟
ورأتْ عينَايَ
طيفاً مقبلاً
يالَهُ من قادمٍ أجهلهُ
أترى يُنقذني؟
أم ترى يكتبني في دفتر الموتِ
ويمضي؟

ودنا الطيفُ..
فيا دَهْشَةَ قلبي
حين شاهدتُ عجوزاً هَرِمَا
جاءني..
يقتلع الخَطْوَ من الأرضِ
اقتلاعا
أيُّها الشيخ .. تمهَّلْ
كيف أقبلتَ
وأيَّانَ تريدُ؟
أتُرَى أنتَ..
رسولُ البؤسِ في هذا الظلامِ
أم تقيٌّ ..
تطلب العزلةَ
في هذي التِّلالِ؟
وقف الشيخُ..
وفي عينيهِ إرهاصُ دموعْ
وعلى سَحنتهِ

طيف ذهولْ
وبكفَّيهِ ارتعاشْ
ودنا مني وقال:
ليتني كنتُ تراباً
ليتني مُزِّقتُ عضوًا
ثم عضوًا
قبل أنْ ألمح نَذْلاً
«قرمطيّا»
يُنْبِت المأساةَ في قلبي
ويمضي
بعد أن دنَّس عرضي
آه من حزني
على بنتي الحبيبَهْ
مزَّقوا عنها ستار الطُّهْرِ
ظُلْمَا
آهِ من شيخوختي
وقفتْ بيني

وبينَ الذَّوْدِ عنها
أيُّها السائلُ
لا تسلكْ إلى البصرةِ دربا
فحماها مُستباحٌ
من رجالِ القرمطيِّ
ونساءُ القومِ
في أيدي المغيرين سبايا
آهِ من حزني..
على بنتي الحبيبَهْ

الصوت : «في تأثُّرٍ بالغ»

ثم ماذا؟
هل أعنْتَ الشيخ
في محنتِهِ؟!

التاريخ :

لم يكنْ ذلك في مقدرتي
بل تركتُ الشيخ
يبكي بؤْسَهُ

وتلاقيتُ أنا والفجر
في أرضِ العراقِ
هذه البصرةُ
في مأتمها
غصَّت الساحاتُ بالقتْلى
وضجَّتْ ببكاءٍ
ونحيبِ
واستغاثاتِ نساءٍ
سافراتِ:
أين من مأساتنا
المقتدرُ
و«أبو طاهرَ» [1]يمحو..
بِشَبا السيفِ السؤالا
ذلكَ الزنديق
ما أظلمَهُ
يمَّم البيتَ العتيقا

(١) قائد قرمطي اقتحم البيت الحرامَ يوم « التروية» وأسال فيه الدماء.

وإذا بالناسِ يوم «التَّرْوِيَهْ»
يشربون الموتَ مرّاً
من سيوف الغادرينْ
و«أبو طاهرَ»
في «البيت» يصيح:
«أنا باللّه، وباللّه أنا
يخلق الخلقَ وأفنيهم أنا»
وتراءى الحجر الأسودُ «لَهْ»
فدنا منه وصاحا:
أيُّها الجند احملوهُ
إنما أولى بهِ
«أرض هَجَرْ»
ومضتْ عشرون عاما
أوْ تزيدُ
ومكانُ الحجر الأسودِ
في «البيت»
فراغُ

آه من مذهبِ
ذاكَ «القرمطيِّ»
ملحدٌ روَّع أرض المسلمينْ
وإباحيٌّ عنيدُ
تاهَ في طغيانهِ
نسي الله فلم
يَرْعَ للقومِ ذماما
ودنا يومُ العقابِ
فتهاوى لحمهُ بالجدريِّ
ثم ماتْ
لم يكنْ يفهم أنَّ اللّهَ
قد يُمهلُ عبدَهْ
غير أنَّ الله لا يُهملهُ

الصوت :

ليس هذا ـ أيها التاريخ ـ
بالأمر الخفيِّ
أوَ هذا كلُّ ما تعرفه

من شؤون القرمطيِّ؟؟

التاريخ : «بلهجة تحدٍّ»

بل وراء القومِ

أسرارٌ كثيرهْ

وخفايا

أنتَ لا تعلمها

كان من أعظمها..

ما جنتْ كفًّا يهوديٍّ خَؤونِ

كان مأموناً

لدى المعتضدِ[1]

ولدى آبائهِ

غير أنَّ الحقدَ قد أعمى

فؤادَهْ

إنّه «عزرا» اللعَّينُ

إنَّه مستودع الحقدِ

وعنوان الخيانَهْ

---

(١) أحد خلفاء بني العباس.

«حَسَدٌ»

في صورة الإنسانِ يمشي
ويدٌ باغية
تزرع الأشواكَ في كلِّ طريقِ
لا تبالي..
أنْ تدسَّ الخنجر المسمومَ
في قلب صديقِ
وفؤادٌ عشَّشت
فيه الخيانَهْ
ونما فيه الرِّياءُ
آهِ لو تعلم عنهُ
ذاتَ يومٍ
ودماءُ الناسِ خَمرٌ
في كؤوسِ المارقينْ
واستغاثاتُ السبايا
نغمٌ يُطربهم
وخراسانُ

تعاني وتئنُّ
بعد أنْ عاثَ بها «الصفَّارُ»[1]
إفساداً وقَتْلا
جاءت الأنباءُ للمعتضدِ
أنَّ عزْرَا
ذلك الشيخَ الوديعا
ذلك الملتفَّ بالصمتِ
وذا القلب الحنونِ.
يبذل المالَ سخيّاً
في طريق الفِتَنِ
لا يبالي
أنْ يرى حقاً
يضيعُ
أوْ يرى عرضاً
يُداسُ
يا له من خبرٍ

(١) الليث بن علي أحد ملوك الأسرة الصفَّارية في سجستان.

ضاق به المعتضدُ
فمضى يبحث في الآفاقِ
عن صحّته
واكتوَتْ أحشاؤه بالنارِ لمّا
نطقتْ كلُّ البقاع
بخياناتِ صديقِ القومِ
«عزرا»
كان يعطي المالَ سحّاً
لرجال القرمطيِّ
وله في فتنةِ «الزَّنج»
يَدٌ
ولهُ في فتنة الصفَّارِ
بذلٌ وعطاءٌ
يا إلهي..
جامع المالِ الذي يعبُدُه
والذي يعشقه
مثلما يعشق « قيسٌ»

وجْهَ «ليلى»

يبذل المال سخيّاً

للبغاة المارقينْ؟؟!

الصوت : «متحمِّساً»

إنَّه شأْنُ اليَهودِ

أُشربوا بالأمسِ

حبَّ العِجْلِ في أنفسهم

ومضوا في مكرهم

جعلوا الحقدَ طريقاً للحياهْ

عشقوا الغدرَ

فلن يرضوا سواهْ

التاريخ : «ينظر إلى الأفق»

أيّها الصوتُ

وداعاً

بلغ الدربُ بنا غايتَهُ

أوَ ما تشعر

أنا قد قربنا

من طريقٍ
تسكن الأخطارُ
فيه؟
أوَ ما تلمح
شوكاً؟
أوَ ما تلمح في الدَّربِ
«ضحايا»؟
سوف أمضي الآنَ
نحو الأُفُقِ
فتذكَّرْ
ـ أيها الصوتُ الحبيبُ ـ :
أنَّ قلبيْ
لم يزلْ يحمل آلافَ المآسي
وتذكَّرْ
أنَّ في طيَّات أخباري
أكاذيبَ كثيرهْ
وأنا منها بَرَاءْ

«يتراجع الشبَح ويظلُّ يبتعد حتى يبتلعه الأفق ثم..
يتلاشى الصوت».